جامعة الإسكندرية

كلية الآداب

قسم الفلسفة

الإنسان والطبيعة في الفكر الغربي الحديث والمعاصر

((دراسة تحليلية نقدية في فلسفة الحضارة))

Man & Nature in Western Modern and Contemporary Thought

"An Analytical Critical Study in Philosophy of Civilization"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

من الباحث / جابر فرج جابر خليفة الحرباوى

(المدرس المساعد بقسم الفلسفة)

إشـــراف

الأستاذة الدكتورة/ راوية عبد المنعم عباس

"أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة"

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ{١٦٤}﴾ *

صَدَقَ اللّهُ الْعَظِيمِ

---

* القرآن الكريم : سورة البقرة ، آية {١٦٤}

شكر وتقدير . . .

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة . .

الأستاذة الدكتورة / راوية عبد المنعم عباس

لما غمرتني به من رعاية وتوجيه ؛ فكانت خير عون على إنجاز هذا البحث وتخطى كل عقباته .

الباحث

جامعة الإسكندرية

كلية الآداب

قسم الفلسفة

الإنسان والطبيعة في الفكر الغربي الحديث والمعاصر

« دراسة تحليلية نقدية في فلسفة الحضارة »

Man & Nature in Modern Western and Contemporary Thought

"An Analytical Critical Study in Philosophy of Civilization"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

من الباحث / جابر فرج جابر خليفة الحرباوى

(المدرس المساعد بقسم الفلسفة)

إشـــراف

الأستاذة الدكتورة/ راوية عبد المنعم عباس

"أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة"

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

بسم الله

وصلاةً وسلاماً على "محمد" الرسول .

أما بعد

فقد خلق الله الأرض بيئة نقية . . وسخر كل ما فيها من أجل الإنسان، بحيث يحيا فيها حياة هادئة آمنة لا تشوبها شائبة ولا يعكر صفوها شيء، ما دام يسير وفق الفطرة السليمة التي فطره الله عليها .

أساتذتي الكرام . . السادة الحضور : موضوع بحثي للدكتوراه الذي

بعنـــــــــــــــوان :

"الإنسان والطبيعة في الفكر الغربي الحديث والمعاصر"

(دراسة تحليلية نقدية في فلسفة الحضارة)

"Man & Nature in Modern Western and Contemporary Thought"

(An Analytical Critical Study in Philosophy of Civilization)

حيث أحاول من خلاله معالجة جدلية العلاقة بين "الإنسان" و"الطبيعة" في الحضارة الغربية منذ العصر الحديث حتى عصرنا الراهن ؛ ومن هنا فقد قسمت هذا البحث إلى ثمانية فصول حيث ينقسم كل فصل إلى عدد من المباحث هذا فضلاً عن مقدمة عامة وخاتمة للبحث إجمالاً متضمنة أهم النتائج التي توصلنا إليها .

هذا وقد برأ الباحث بحثه وفي ذهنه عدد من الفروض أو التساؤلات منها :

- هل كان للميراث الفلسفي واللاهوتي للحضارة الغربية الحديثة تأثيراً على صلة الإنسان بالطبيعة وعلاقته بالكون من حوله ؟

- ما الفلسفات والمناهج الغربية التي أسهمت في إبعاد الإنسان عن الطبيعة ؟ وما تلك التي حاولت أن تعيد الوفاق بين الإنسان والطبيعة بعدما حدث بينهما من انفصال ؟

- هل تهدد التكنولوجيا الحرية الإنسانية ؟ وهل تقضي على القيم الإنسانية ؟ أم تساهم في تنميتها – كما يزعم البعض – في اتجاه أكثر عمقاً ؟

- ما أثر أيديولوجية العولمة على الطريقة الأمريكية ـ فيما يعرف بـ"الأمركة" ـ على جدل الإنسان والطبيعة ؟

- هل من الممكن أن يعود الإنسان الغربي إلى الوفاق مع الطبيعة ؟ وما السبيل إلى ذلك؟

ولهذا كان **الفصل الأول** من هذا البحث والذي نتعرض فيه لـ " الميراث الفلسفي واللاهوتي لعلاقة الإنسان بالطبيعة في الحضارة الغربية" ؛ إذ نحاول من خلال هذا الفصل إجمالاً الرجوع إلى الأسس الفلسفية والثقافية واللاهوتية التي انطلق منها الإنسان الغربي في علاقته بالكون والطبيعة والعالم المحيط به. حيث نتعرض في (المبحث الأول) إلى الميراث الفلسفي للغرب الحديث والمعاصر متمثلاً في الفلسفة اليونانية في حين نحاول من خلال (المبحث الثاني) إلقاء نظرة شاملة على الميراث اللاهوتي متمثلاً في التراث اليهودي والمسيحي لحضارة الغرب الحديث .

وقد خلصنا من خلال الفصل إلى أن ثمة تطابقًا بين الفلسفة اليونانية والمشروع الحضاري للغرب الحديث بالصورة التي هو عليها اليوم؛ ذلك أننا لن نبتعد عن الحقيقة إذا ما قلنا أن مبدأ السيطرة على الطبيعة وعلى الآخر مرتبط ولا شك بتاريخ الميتافيزيقا الغربية التي حولته إلى نمط معولم على مستوى كوكب الأرض برمته .

من هنا فقد كان لزامًا علينا التأكيد على ضرورة تعديل مفهوم إنسان الحضارة الغربية عن الذات وعن الثقافة وعن الدين والأهم تعديل موقفه من الآخر ومن الطبيعة مع مراجعة الثقافة التي ورثها عن سلفه (سواء الفلسفات اليونانية أو اللاهوت اليهودي المسيحي) لكي نقضي على كل انفصال بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو بين الإنسان والطبيعة، وقبل ذلك بين الإنسان والمقدس؛ حتى يحقق الفرد إنسانيته وحريته مع امتلاك القدرة على "الصداقة" مع كل نواميس الوجود الإنساني والطبيعي .

أما **الفصل الثاني** من هذا البحث فإنه يتعرض لـ"**علاقة الإنسان بالطبيعة في العصر الحديث**" **(القرن السابع عشر)** حيث نلاحظ أنه ومنذ هذا التاريخ بدأ وباستمرار عبر القرون التالية انفصال الإنسان الغربي عن الطبيعة، وتنامي سلطته عليها ، هذا فضلاً عن سطوته على أخيه الإنسان؛ ومن هنا فقد حاولت من خلال هذا الفصل الذي قسمته إلى ثلاثة مباحث : الأول نتعرض فيه لموقف "فرنسيس

بيكون" Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) ومنطقه في السيطرة على الطبيعة، حيث أراد بيكون العلم الذي يسيطر به الإنسان على الطبيعة ويغير به نوع حياته على الأرض .

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فإننا نتعرض فيه لآراء الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" Réne Descartes (١٥٩٦ – ١٦٥٠) في هذا الصدد والتي كانت بمثابة بذر البذور التي كرست انفصال الإنسان عن الطبيعة؛ ومن ثم تمرده عليها بعد أن ظل هذا الإنسان ابنًا للطبيعة طوال عصر النهضة، وذلك حين دعا إلى فلسفته الجديدة، والتي حدد هدفها بأنها تجعلنا "نسيطر على الطبيعة" وأن نكون "مالكين لها ".

هذا في حين نتعرض في المبحث الثالث من هذا الفصل لآراء الفيلسوف الإنجليزي "توماس هوبز" Thomas Hobbes (١٥٨٨ – ١٦٧٩) والذي يعد من بين الفلاسفة الذين أثروا تأثيرًا قويًا فيما يختص بعلاقة الإنسان الغربي بأخيه الإنسان، ومن ثم صلته بالطبيعة والعالم المحيط به.

وقد خلصنا من خلال مباحث هذا الفصل إلى أن هذه الشخصيات الفلسفية كان لها أكبر الأثر في صياغة موقف الغرب والحضارة الغربية من الطبيعة ومن الآخر؛ ذلك أن التغيير البطئ في المحيط الخارجي الناجم عن نشاط الإنسان إبان القرون الوسطي بأوربا؛ اتخذ هنا – القرن السابع عشر وما بعده – شكل الهجوم الفظ لبشر مزودين بآلات ومعدات حديثة. كما بدا لهم أن الطبيعة بمثابة وحش كاسر ينبغي الانتصار عليه بشتى الوسائل؛ ومن هنا أصبح تقدم العلوم منذ القرن السابع عشر وكأنه بمثابة حملة صليبية لغزو عالم الطبيعة وتحويله بقصد تملكه والسيطرة عليه.

أما ***الفصل الثالث*** فإن الباحث يعنونه بـ "**عصر التنوير" أو (القرن الثامن عشر)** حيث نتعرض فيه لـ"مكانة الطبيعة في مشروع عصر التنوير" (المبحث الأول) باعتبار القرن الثامن عشر من بين أكثر العوامل فاعلية

في صياغة الحداثة الغربية وتشكيلها فيما يختص بعلاقة الإنسان بالطبيعة والكون المحيط.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فإننا نتعرض فيه لشخصية الفيلسوف جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ – ١٧٧٨) باعتباره يمثل صوتًا صارخًا من البرية يحاول إعادة الوفاق بين الإنسان والطبيعة بعدما حدث بينهما من انفصال وصل إلى درجة العداء.

هذا في حين يتعرض المبحث الثالث للفيلسوف الألماني الكبير "إيمانويل كانط" Immanuel Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤) والذي يعد من أبرز المتحدثين باسم "فلسفة التنوير" في القرن الثامن عشر؛ وكان هذا المبحث بمثابة إجابة على السؤال : هل يعد الفكر الكانطى بمثابة امتداد لتفكير القرن السابع عشر، فيما يختص بانفصال الإنسان عن الطبيعة؟ وهل كان هذا الفكر ذا تأثير قوى على رؤية الإنسان الغربي للطبيعة وموقفه من الكون والعالم المحيط ؟

وكانت الإجابة من خلال هذا الفصل أن عصر التنوير يمثل قمة منطق السيطرة والهيمنة على الطبيعة والإنسان معًا . وهكذا فقد عمل فلاسفة التنوير على تكريس فكرة إمكانية السيطرة النهائية على الطبيعة وذلك من خلال تجريدها من خصائصها (قداستها –أسرارها) وتفتيتها إلى مجرد ذرات منفصلة؛ وإخضاعها من ثم للقياس والحساب والتحكم والسيطرة .

يتعرض ***الفصل الرابع*** من هذا البحث والمعنون: "العصر الصناعي بين النفعية والبراجماتية" لما أحدثته الحضارة الصناعية من

تغيير للعلاقة بين الإنسان والطبيعة من خلال زيادة قدرة البشرية على قهر الطبيعة، وتغيير فهم الناس وتأثرهم بها. من هنا كان لزامًا علينا من خلال المبحث الأول من هذا الفصل – الفصل الرابع – أن نتوقف عند "أثر الانقلاب الصناعي على الإنسان والطبيعة" ؛ فالثورة الصناعية كانت بمثابة تطبيق العلم الحديث على التقنية؛ وما نتج عن ذلك من الزيادة الهائلة في الإحساس بقوة الإنسان؛ سواء في صراعه مع الطبيعة أو في صراعه مع أخيه الإنسان .

أما المبحث الثاني من الفصل الرابع فإنه يتعرض للنزعة النفعية لدى "جيرمى بنتام" و"جون ستيوارت ميل" باعتبارها وليدة هذا العصر الصناعي الجديد؛ من حيث تأكيدها على أن مصدر السلوك البشرى إنما هو المنفعة الذاتية، وبالتالي فإن جوهر الإنسان هو الأنانية؛ وما نتج عن ذلك من اعتبار المبدأ النفعي اللذى قاعدة وجعله الأساس لإعادة التفكير في كل التنظيمات الأخلاقية والسياسية والاجتماعية .

كذلك ناقشنا في المبحث الثالث الفكر البراجماتى باعتباره رافدًا من روافد الآلة والعصر الصناعي والذي ينطلق كذلك – أي الفكر البراجماتى – من التعبير عن مصلحة الذات العملية؛ وإلى أي مدى يستطيع الفرد أن يعقد صفقة رابحة – بلغة السوق – مع الواقع لصالحه، فصحة أية فكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع وما تؤدى إليه من نتائج عملية في الحياة، وما عدا ذلك ينبغي ألا نلتفت إليه على الإطلاق .

ومن هنا فقد تأكد لنا من خلال هذا المبحث أن الحركة البراجماتية ليست سوى ظاهرة أمريكية ، نبعت عن المجتمع الصناعي

الأمريكي؛ ولهذا جاءت آراء فلاسفة البراجماتية سواء في "نظرية الصدق" أو في آرائهم عن العالم وعلاقة الإنسان بالطبيعة بصفة عامة متأثرة إلى حد بعيد ببيئة الحياة الأمريكية؛ ومن ثم ساهمت هذه الفلسفة – البراجماتية – في الترويج للروح الغربية التي تسعى إلى السيطرة النابليونية على الإنسان والطبيعة كما نرى ونسمع اليوم .

أما **الفصل الخامس** من هذا المبحث فإنه بعنوان: "الإنسان والطبيعة في عصر العولمة" حيث تعرضنا في المبحث الأول إلى "سيادة منطق السوق والاستهلاك، والربح" من حيث إن السيطرة على الطبيعة وعلى مواردها وأبعادها المكتشفة كانت بمثابة شرطًا لعملية الإنتاج الجديدة التي عملت على تحويل العالم إلى سوق هائلة للسلع خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وما نتج عنه من تكريس عالم الأحادية القطبية ؛ حيث أصبحت "أمريكا" القطب الأوحد الذي يحكم العالم منفردا .. وفي يده سيف المعز وذهبه .

كما نتعرض من خلال المبحث الثاني من هذا الفصل لجدل العلم والتقنية والطبيعة لنبحث كيف استطاع إنسان العصر استبعاد العلم لصالح التقنية وذلك من خلال المطالب التجارية والصناعية في ظل منطق الاقتصاد الرأسمالي .

أما المبحث الثالث من هذا الفصل (الخامس) فقد تناولنا فيه التنظيم التكنوقراطى للمجتمع من حيث إن كل هذه الألوان من الغربة والاغتراب ليست سوى أوجهًا متباينة لابتعاد الإنسان عن جوهره وطبيعته الحقة .

لقد تأكد لنا من خلال هذا الفصل أن نموذج العولمة على الطريقة الأمريكية – فيما يعرف بـ "الأمركة" – إنما يقودنا إلى مزيد من الاغتراب عن محيطنا وإلى تمزيق أكبر للتوازن البيئي الذي وفره كوكبنا عبر ملايين السنين ؛ ولعل هذا هو السبب الرئيسي في أن رفض ومقاومة العولمة الرأسمالية وهيمنة السوق بآلياته المتوحشة فضلاً عن الهيمنة الأمريكية أحادية القطبية – أصبحت هي الظواهر الأكثر بروزًا على الساحة العالمية سواء في البلدان المتقدمة أو بلدان العالم الثالث على حد سواء .

كما خلصنا إلى أن ثمة "عولمة" ذات مضامين إنسانية لا يمكن على الإطلاق أن تنسجم مع الهيمنة والاستعمار ولا مع الاستراتيجيات الرافضة لإمكان التعايش السلمي بين الحضارات بدعوى أن هذه الحضارات في حالة صراع دائم (نموذج هنتنجتون) أو أنه لابد من هيمنة حضارة واحدة، هي الحضارة الأمريكية، على العالم أجمع، بدعوى أن تبلور هذه الحضارة قد أمسى يعلن "نهاية التاريخ" وتوقفه عن التطور نحو حضارة أرقى، وبزعم أن لا بديل في العالم أجمع عن الحضارة الأمريكية ونظامها الرأسمالي الصرف (فوكوياما).

ومن هنا كانت دعوتنا إلى ضرورة العمل على تعديل الكثير من النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية التي تسود المجتمع الغربي، بل وبعض المجتمعات الدائرة في فلك الغرب اليوم؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد إلى بناء إنسان يسوده الانسجام النفسي الداخلي ثم الانسجام والتوافق مع الآخر والطبيعة، مع ضرورة التأكيد على أن

الجمود والتحجر عند أي مرحلة دينية أو قومية سوف تهدم هذا التيار العالمي أو على الأقل تلغى أثره في الفكر والسلوك .

أما **الفصل السادس** فإن الباحث يعنونه بـ: "محاولات الفكر الغربي المعاصر للوفاق مع الطبيعة"؛ حيث نتعرض في المبحث الأول لرؤية الفيلسوف والمفكر الألماني الكبير "كارل ماركس" K. Marx (١٨١٨ – ١٨٨٣) لجدل الإنسان والطبيعة ؛ كل ذلك في إطار اعتبارنا الفكر الماركسي بمثابة محاولة لإعادة الوفاق بين الإنسان والطبيعة.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فإنه يتعرض للفيلسوف الفرنسي "هنرى برجسون" H. Bergson (١٨٥٩ – ١٩٤١) وفلسفة الحياة لديه باعتباره واحدًا ممن وقفوا وبقوة ضد جميع النزعات الوضعية والميكانيكية والآلية التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر واضعًا في المقابل ضرورة الرجوع إلى تأمل ينبوع الديمومة الكونية التي تتسق مع إنسانيتنا والتي تكشف لنا عن حياة الروح . . إن فلسفة "برجسون" تزودنا بقوة أكبر من أجل العمل والحياة. وبالتالي فلن نشعر معها بأننا في عزلة عن الإنسانية، كما أن الإنسانية لن تبدو لنا منعزلة هي الأخرى عن الطبيعة التي تسيطر عليها .

واليوم فإنه ليس من المستحيل أن يتوصل الإنسان إلى إقامة مجتمع عالمي يتسم بالتوازن والتعايش والطابع الإنساني. ولنقل مجتمع اشتراكي بأفضل معاني هذه الصفة. وفى رأيي فإن الاشتراكية أو بالأحرى "النزعة الجماعية" هي السبيل للخروج من هذه الغابة الإمبريالية التي وضعتنا فيها ممارسات الغرب وحضارته على مدى

أكثر من أربعة قرون من عمر الزمان. إن النزعة الجماعية إذن هي التيار المستقبلي الواعد الذي يحمل نواة مشروع إنساني تقدمي جديد .

يتناول **الفصل السابع** من هذا البحث "الخطاب السياسي للوفاق مع الطبيعة في الغرب ؛ حيث نتعرض من خلال المبحث الأول لـ"علاقة" الإنسان بالبيئة" محاولين التوصل إلى تعريف واضح للتلوث متتبعين أنواع الملوثات البيئية وظاهرة "الصوبة الزجاجية" وما يعرف بـ "ثقب الأوزون" ... كل ذلك في إطار تتبعنا لأزمة الحضارة الغربية اليوم والتي عمت أرجاء المعمورة ؛ وذلك دون أدنى اهتمام من مغبة العواقب الوخيمة الناجمة عن انعدام التوازن الاقتصادي والأيكولوجى والديموغرافي المتزايد .

أما المبحث الثاني من هذا الفصل؛ فإننا نتعرض من خلاله لـ "الخطاب السياسي متمثلاً في حركات أنصار البيئة" و"أحزاب الخُضر" والتي تنطلق من مجموعة مبادئ أساسية منها أن التلوث واستغلال المصادر والتدمير الذي يحدث للطبيعة . . كل ذلك يعد مشكلات غربية؛ ومن هنا تسعى هذه المنظمات – إلى محاولة تشكيل سياساتها طبقًا لاحتياجات الطبيعة ودفاعًا عن البيئة للحفاظ على كرتنا الأرضية للأجيال المقبلة . . إلا أن السؤال الهام والذي نحاول الإجابة عليه من خلال هذا الفصل هو : هل سننجح في الوقت المناسب في إحداث مثل هذا التغيير؟ أم سنفنى وقد سحقتنا أعمالنا وقتلتنا جسارة تكنولوجيتنا ومزقنا غضب من لا يملكون شيئًا وضراوة من يملكون كل شيء ؟